

## المقدمة.

بسم الله ، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن  
والآه، وبعد:

فقد بقيت سمات الابداع والابتكار والتجديد مختصة بالشعر العربي في المشرق  
لحقب طويلة من الزمن. وعلى أساس هذا الشعر ذهب النقاد والادباء ومؤرخو الادب  
يستجلبون خصائص النص الشعري المميز. وقيمون على تلك الميزات القواعد النقدية  
الهامة، فظهرت قضايا نقدية كعمود الشعر والطبع والصنعة والقديم والمحدث والمرفقات  
الشعرية... وغيرها. وعلى خلفية تلك النصوص. وهاتيك القواعد عُدَّ تجاوزاً على  
النص الواعي من خرج عن هذا الشعر وعن أصالته حتى قُصر الابداع على النص  
الشعري الجاهلي حصراً. وكفّر الشاعر الذي يخرج عن معاني هذا الشعر وعن  
خصائص قصائده، وعن أصول نظم القصيدة الجاهلية في أغراضها ولوحاتها.  
ولم يقتصر الأمر على هذه القواعد وحدها، وإنما أرتبط أداء الشعراء في باقي  
العصور بمضامين تلك القصيدة، فذاعت المقولات النقدية التي تشير الى تجاوز الشعر  
على ذلك النظم - الجاهلي - ومن ثمَّ تجاوزه على قانون الشعر العربي عموماً، فكثرت  
المقولات من مثل:

- \* وهذا خارج عن عمود الشعر.
  - \* هذا مستكره معيب لأن ألفاظه فارقت ألفاظ الجاهلية.
  - \* هذا مصنوع يحاكي قول امرئ القيس.
  - \* هذه ليست من سمات الابتكار، إذ لم ترد في شعر الأقدمين... وما شابه ذلك<sup>(١)</sup>.
- وأزاء هذا الكم الهائل من الأحكام النقدية التي توالفت على الشاعر في كل زمن  
جعلته أسير التقليد الأعمى، والسير القسري على منهج الأقدمين في النظم لسنوات  
طويلة، وجّهت الانظار نحو الاصقاع الجديدة التي أنتجت شعراً، وولدت شعراء.  
وأشعلت الادب العربي بهالة من النصوص الشعرية رداً من الزمن. وكان الادب  
الاندلسي من تلك الاداب التي ولدت في بيئة جديدة تختلف في كل شئ عن بيئة  
المشرق. فأنهال عليه الدارسون والنقاد يميزون جديده، ويعنون بحاسنه. وما هسي إلا

(١) للزيد عن هذه العبارات، ومثل هذه الأحكام يُنظر: النقد عند اللغويين في القرن الثاني الهجري: مسنية  
أحمد محمد، دار الرسالة- بغداد، ١٩٧٧، ص ٦٨-٧٩.

أطلالة أو نظرة بسيطة حتى عادت تلك الاقوال التي تسلبه مقومات الابتكار والأصالة، وتجعله تابعاً ذليلاً لأخيه- الشعر المشرقي-. وتخرجه عن كل جدة وطرافة. فعادت المقولات السالفة بشكل اقوى تأثيراً، وأكبر تجريداً لكل شيء جديد. ومن تلك المقولات:

\* وهذا المعنى قديم، أخذه... من قول الاعشى يمدح فلاناً.

\* وهذا خروج عن نمط المقدمة في القصيدة الجاهلية جاء به ابو نواس، والشاعر الاندلسي... (1).

\* هذه رسالة كتبها ابو العلاء المعري.

\* هذه القصيدة محاكاة لجبل التوباز الوارد في شعر...

وعلى فحوى هذه المقولات وأمثالها كان الادب الاندلسي يلقي الضيم والتهميش في أغلب نصوصه الشعرية، فلا أدري لماذا كل هذا الظلم والهضم (ولم يقصر الله العليم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم. بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره، وكل شرف خارجة في أوله<sup>(1)</sup>).

وقد جاءت دراستي هذه لتبرز بعض أصالة النص الشعري الأندلسي من خلال أهم مؤثر على ذلك النص وصاحبه. المكان- انماطه ودلالاته والاحداث التي تقع عليه-، ولا سيما بيئة الاندلس الجميلة الساحرة وما تركته من أثر على الشاعر الذي عاش في كنفها جعلتنا نتغنى بأشعاره التي قبلت فيها وفي جمالها الى يومنا هذا.

إن موضوعنا (المكان في الشعر الأندلسي- من عصر المرابطين حتى سقوط غرناطة) ليكشف عن سمات المكان ونوعه، ودلالته على النص الشعري في الاندلس بوضوح وتركيز. ويظهر الكثير من مقومات نجاح هذا النص، ومقومات أصالته بما تجعله رديفاً لشعر المشرق. تميزاً وأبداعاً وأصالة. وأظن أن أسباب عكوفي على اختيار هذه العصور (المرابطين والموحدين وبنو الاحمر) بالدراسة والتحليل عائدٌ لجملة أمور أهمها:

١- بالنسبة لعصر الطوائف فإن هناك دراسة سابقة تناولت أثر المكان على الشاعر الاندلسي الذي عاش في هذا العصر. وهي دراسة الدكتور سعد اسماعيل شلبي

(١) الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق وتعليق: احمد محمد شاكر، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، ١/٦٣.

الموسومة بـ(البيئة الأندلسية وأثرها على الشعر في عهد ملوك الطوائف). أستوفى فيها الباحث الفاضل الحديث عن أثر البيئة بأنواعها (الطبيعية والثقافية والسياسية والاجتماعية) على شاعر هذا العصر. وخرج عن هذا الأثر بنتائج موضوعية وفنية طيبة، فأهملنا هذا العصر من حساباتنا لوجودها.

٢- إن هذه العصور لم تلق العناية الأكاديمية التي حظي بها عصر ملوك الطوائف. إذ غالباً ما تصدر هذا الأخير تلك العناية، وكان المضمار الأهم الذي تنافس فيه الدارسون والباحثون، فهو في نظر الكثيرين أزهى العصور، وأغزرها نتاجاً، وأكثر هذا النتاج نضجاً. ولذا أثرت الابتعاد عن هذا العصر وما قيل فيه محاولاً الوقوع على أسس الإبداع ومكوناته في العصور التي تلتها إذ أن المجال فيها أوسع وأكبر.

٣- مسألة يثيرها الجهد العلمي الذي يصدر حديثاً، وهو يعنى بهذه الحقبة. فقد رأيت أن هناك مجموعة كبيرة من الدواوين والمجموعات الشعرية نشرت في نهاية القرن الماضي وبدء القرن الحالي قد أهتمت بهذه الحقبة. وهو أمرٌ من شأنه أن يمد الدراسة بكل ما هو جديد وحديث، ويوسع أمامها آفاق البحث بالاطلاع على أكبر قدر من النصوص الشعرية التي توثق الظاهرة المكانية، وتعمق من أهميتها.

٤- ثمة مسألة يثيرها تأريخ هذه العصور، وهي مهمة، عكست أحساس الشاعر النفسي نحو المكان بصورة عميقة، وهي مسألة سقوط المدن والأمارات. فهذه العصور شهدت انحسار ملك المسلمين، وتلاشي عظمتهم، وضياع أوطانهم وأماكن حضارتهم حتى لم تبق في نهاية المطاف إلا غرناطة وما يعود إليها سياسياً وأدارياً، فلا شك في أن يكون لسقوط المدن هذه أثره المهم على الشاعر الأندلسي، ومن ثم على شعره.

كانت تلكم أهم الأسباب التي دعتنا لأختيار الموضوع وعصوره. أماعن المنهجية التي سار عليها البحث فكانت على وفق ما يلي:

فالتمهيد: كان جولة في ماهية المكان وأهميته. أنماط ووسائل تشكيله في النص الشعري. ورأيت أن أختتم هذه الجولة بالحديث عن النظرية الإقليمية التي تعنى بتقسيم الشعراء على وفق أمكنتهم وبيئاتهم، ومايجره هذا الكلام من تداعيات على الشاعر ونصه متمثلة ببروز غرض دون غرض، أو اتجاه دون اتجاه. أو كمية هذه الأغراض وقيمتها موازنة مع غيرها.

ولا ريب في ان التمهيد وما عرضناه فيه قد لا ينطبق كله على الشعر الأندلسي، إذ أردنا أن يكون الكلام شاملاً عن كل ما يخص المكان من قريب أو بعيد، مع التركيز قدر الأمكان على الشعر الأندلسي. ومع ما جدّ منه من ظواهر وأغراض ودلالات. أما الفصل الأول: فكان البعد البيئي المباشر ( ثنائيات المكان الاليف والمكان المعادي) كما عاشه الشاعر الأندلسي بملاساته ومفاهيمه. وقد فصلت فيه القول- مستغلاً ثنائيات الأمكنة- على مبحثين اثنين:

١- المكان الأليف. وشمل المكان الطبيعي، وهو كثير وشائع. وكما هو معلوم للجميع أن الأندلس إن لقت المنصف المعتدل الذي يتحدث عن أصالتها وأصاله أدبها وشعرائها وجدته يتكلم عن هذي الأصالة من خلال هذا المكان. ومن هنا ربما كان الاسهاب في انواع المكان الطبيعي ودلالاته بمقصد من الباحث لكي يُري القارئ فاعلية المكان وسبل توظيفه عند الشاعر الأندلسي.

وشمل المكان الاليف المكان الأجماعي: وهو ما يثير فينا النفاء والأمان ويسبغ علينا مقومات الحياة الامنة الهادئة. فدار الحديث عن أماكن السكن المعروفة، وعن دلالات هذه الأمكنة الأجماعية المختلفة.

غير أننا قد نضع اليد على بعض النصوص التي تبنت أثر المكان الاجتماعي وعكست دلالة معادية لهذا المكان. تلك الدلالة التي تجعل الشاعر يذم مكانه الاجتماعي المعاش، أو يتهرب منه.

٢. المكان المعادي. وشمل: القبر والسجون والمعتقلات و أمكنة أخرى.

وعلى الرغم من أن المفردة الأولى التي تناولها المكان المعادي هي نتيجة حتمية لمصير الإنسان، ونهاية متوقعة لحياته إلا أن الشاعر الأندلسي نظر إلى هذا المكان نظرة عدائية، شفعها بالكثير من الكلمات والصور التي أثارَت فينا حزناً وشجناً حال قراءة الابيات التي وصفت هذا المكان.

وفي السجون وبين قضبان الاعتقال نسج الشاعر من خياله وفكره مكونات القصيدة المؤثرة، وتركها شاهداً صليداً على عنف المكان المعادي وقسوته على الانسان. فهو السالب حريتهم، المقيد علاقاتهم.

أما عن المدينة فإن النصوص التي استشهدنا بها على معاداة الشاعر الأندلسي كانت محدودة من حيث الكم، لأن هذه الثيمة المكانية كانت مجال الحديث في عنوانات

أخرى من البحث. وأظن أن هذه المحدودية أبانت عن النظرة العدائنية التي حملها الشاعر ضد مدينته، ودوّنت أحداثها التي جعلتها مكاناً معادياً مذموماً.

أما الفصل الثاني: فكان المكان التاريخي (البعد التراثي الفكري للمكان)، وقد ضم هذا المكان تراث أهل الأندلس، وفكرهم وحضارتهم التي امتدت خمسة قرون تقريباً هي مدة الدراسة التي تناولها البحث. وكان لهذا المكان من التأثير الكبير والتوقع المهم، بحيث كشف عن الحروب التي وقعت في الأندلس - أتال هذه الحقب - وعن نتائجها، وعن مآثر العرب المسلمين فيها، وانتصاراتهم وطلوع أبطالهم ورناء شهدائهم. فكان المبحث الأول يعنى بالمكان التاريخي وبسماته وخصائصه.

فتناول الحديث عن المكان الحربي وأهم المعارك التي خاضها المسلمون في الأندلس، وأهم النتائج التي تمخضت عن هذه المعارك ثم تناول الحديث عن المكان الديني، وما رأيت ضيقاً من إشراك بعض الأغراض التي من شأنها كشف سمات المكان الديني وبيان أثره في النص الشعري الأندلسي، كالرثاء والمديح النبوي والزهد. وأما عن باقي المبحث فدار حول الحجازيات، والاحتفالات الدينية التي كثرت في الأندلس ولاسيما في عصر بني الأحمر. ولعل النصوص الكثيرة التي عرضناها كشفت عن اهتمام المسلمين في الأندلس، شأنهم في ذلك شأن المسلمين في غير هذا المكان، بأمكناتهم الدينية مما يدل على عظيم تمسكهم بشعائرهم وكبير اهتمامهم بها في كل زمان ومكان.

وانتهى المبحث من هذا الفصل بالحديث عن المكان الحضري بحسب ما شرحه النص الشعري. وأي استطراد يمكن أن يغطي الحديث عن هذا المكان؟ وأي منهج يشمل مفرداته وتفصيله؟! فجعلناه مركزاً على المظاهر الحضارية الأكثر وروداً، والأهم بياناً وأحلنا في الهامش إلى المزيد من النصوص والدراسات التي تعنى بهذا المكان وتبحث في أصالته وديمومته.

أما المبحث الثاني فتناول الحديث عن المكان الانبي . وتمثل هذا المكان في الامكنة الانبية المستوحاة من موروث الامكنة التاريخية ثم ادب الاستجداد الذي جسد المكان الانبي عند الشاعر الاندلسي غاية التجسيد - دلالة وعاطفة - .

في الفصل الثالث من البحث، كان رؤية الشاعر الأندلسي للمكان وموقفه منه (البعد النفسي السايكولوجي للمكان). وهذا البعد يمثل جوهر العملية الابداعية، ويكشف عن مقومات الصدق الفني التي تلزم الشاعر البوح عن مشاعره وانفعالاته بشكل قوي

مؤثر. فكانت مباحث هذا الفصل (الاغتراب، الغربة والحنين، البكاء والندب، التحول المكاني) أزاحت تلك العملية وربطت بين أطرافها (الشاعر ← النص ← المتلقي). وأبانت تلك المقومات والمشاعر التي هي من الأهمية العظمى في كشف المشاعر الخفية لمنشئ النص ومبدعه.

وثمة ما يثير التساؤل في مباحث هذا الفصل، وهي مسألة التفريق بين الاغتراب والغربة والحنين، وكيف انفصلا -فكراً ومضموناً- بعد أن كانت النظرة إليهما في الكثير من الدراسات على أنهما شيء واحد، وأصل مشترك في المقومات والنتائج. وهذا ما أثرنا إليه في مكانه. ومادعناه بالنصوص الشعرية الكثيرة التي أمل أنها تكون قد وضحت الفرق بين المصطلحين، وكشفت النقاب عن الاختلاف الواقع بينهما.

أما الفصل الرابع؛ فكان يدور حول الدراسة الفنية للنصوص الشعرية التي جاء المكان بين مفاصلها، وكان محور صورها، ومثير موسيقاها وجرسها. فالبعد الجمالي لهذه المفردة المهمة في الشعر وباقي فنون الأدب كمن في بنية النص الشعري الاندلسي في المبحث الأول وشمل: (المكان في بنية البيت الشعري والمكان في بنية المقطوعة، والمكان في بنية القصيدة ومنها المكان في بنية القصيدة القصصية).

وأما المبحث الثاني فكان المكان والصورة، وقد شرحنا مفهوم الصورة المكانية شرحاً موجزاً ومن ثم بينا أثر المكان في هذه الصور من خلال (أسنة المكان والحواس في معمارية الصورة المكانية والخيال في معمارية الصورة المكانية).

أما عن المبحث الأخير فمن الطبيعي أن يشكل جرس النص الشعري وموسيقاه. وقد كان هذا المبحث مقتضباً مختصراً، إذ أننا تكلمنا عن بعض الظواهر الصوتية في ثنايا البحث فأثرنا عدم تكرارها، وعلى كل فقد شمل هذا المبحث بعض الظواهر الصوتية المهمة التي تركت إيقاعاً وجرساً مؤنساً خلال استخدامها كالتكرار والجناس والتقسيم الإيقاعي.

ثم ختمت البحث بخاتمة دونت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، فقائمة المظان التي أستقى منها البحث مادته العلمية والفكرية والأدبية. وكانت هذه المظان كثيرة ومتشعبة أهمها:

١. الدواوين والمجموعات الشعرية. وهي كثيرة بلغت الأربعين ديواناً ومجموعاً شعرياً. وقد توزعت على العصور الثلاثة، المرابطين ك: ديوان الجزار المرقسطي

ومجموع شعر ابن صارة ، وديوان الاعشى التظلي ، وديوان ابن حمديس وديوان الداني وديوان ابن الزقاق، وديوان ابن خفاجة، وديوان ابن بقي.

عصر الموحدين ك: مجموع شعر أبي جعفر بن سعيد وديوان الرصافي وديوان ابن شكيل، وديوان الجراوي، وشعر ابن جبير وشعر مرج الكحل وديوان ابن سهل وديوان ابن الجنان وديوان ابن عربي، وديوان الششتري وديوان ابن الابار وشعر الرندي، وديوان حازم القرطاجني.

عصر بني الاحمر ك: ديوان أبي حيان، وشعر ابن الجياب وديوان ابن خاتمة، وديوان ابن الخطيب، وديوان ابن زمرك، وديوان يوسف الثالث، وديوان ابن فركون، وديوان عبد الكريم القيسي.

٢. كتب التراجم والطبقات. وأهمها: كتاب خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني . وكتاب الحلة السيرة في أشعار الامراء، وتحفة القادم لابن الابار ، والمقتضب من تحفة القادم. وكتب ابن سعيد المغربي وأهمها: المغرب في حلى المغرب، ورايات الميرزين وغايات المميزين والغصون البانعة والمقتطف من أزاهير الطرف وأختصار القدر المعلى.

وكتب لسان الدين بن الخطيب، وأهمها: الاحاطة في اخبار غرناطة، وريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ونفاضة الجراب عن غلالة الاغتراب والسحر والشعر، والكنية الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة.

وكتابا المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض!

ولم نغفل الإشارة إلى الكتب التي كان اصحابها أكثر عناية بأهل المشرق، فما أن وجدنا نصا شعريا أو ترجمة لشخصية أندلسية أو معركة خاضها المملوك هناك إلا وقفنا عندها وأستشهدنا بها وأحلنا على مصدرها. ومن أهم هذه الكتب: وفيات الاعيان لابن خلكان. والوافي بالوفيات ونكت الهميان للصفدي. وفيات الوفيات لابن شاكر الكتبي. وصبح الاعشى في صناعة الانشا للقلقشندي. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي.

٣- كتب التاريخ. وأهمها: تاريخ المن بالامامة على المستضعفين، لابن صاحب الصلاة. والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي، والذيل والتكملة- بأجزائه وأسفاره- لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي. وأعمال

الاعلام واللمعة البدرية في الدولة النصرية، وشرح رقم الحلل في نظم السدول للسان الدين ابن الخطيب.

٤- كتب الجغرافيا ومعاجم البلدان، ومنها: معجم البلدان لياقوت الحموي. ورحلة ابن بطوطة. لابن بطوطة. ومشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ومعيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار. لأبن الخطيب. والروض المعطار في خبر الاقطار للحميري. ووصف افريقيا. لليون الافريقي.

٥- الكتب والمراجع الحديثة: وهي كثيرة أكبر من أن تعد وتحصى في مثل هذا التعريف الموجز. ومتوعة فمنها ما أعتنى بمكان محدد كالمكان الطبيعي أو المكان التاريخي أو المكان الاجتماعي أو المكان الديني أو المكان الحضري. ومنها ما أختص بشاعر معين ترك شعره أهمية في تدوين أحداث عصره المختلفة، ومثل الظاهرة المكانية في شعره أفضل تمثيل، كالأعمى التطيلي، أو ابن حمد يس، أو ابن خفاجة أو ابن مرج الكحل أو ابن زمرك وغيرهم. ومن هذه الدراسات ما أختص بحقبة معينة من تاريخ الأندلس وأدبها، كتأريخ الأندلسي- عصر الطوائف والمرابطين- للدكتور إحسان عباس. وعصر الدول والامارات للدكتور ثوقي ضيف والأندلسي في عهد الموحدين للدكتور حكمة الأوسي، والشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس للدكتور محمد مجيد السعيد، والقصيدة الأندلسية في القرن الثامن الهجري للدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، والشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري للدكتور قاسم الحسيني. ومن هذه الدراسات ما أختص بظاهرة فنية من ظواهر البناء الفني للنص الشعري الأندلسي، كمقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي للدكتورة هدى سوكة بهنام، والقصص القرآني في الشعر الأندلسي للدكتور احمد حاجم الربيعي.

ومما هو داخل في مضمون هذه الدراسات الحديثة؛ الرسائل والاطاريح الجامعية غير المنشورة. فقد كانت من التنوع بمثل ما قدمنا عنه في الكتاب المطبوع، وربما تكون قد أهتمت بالمكان وانماطه وسبل معالجته موضوعاً وفناً أكثر من سابقته. من المصادر والمراجع ومما هو مرتبط بهذه الدراسات الحديثة ايضاً: البحوث والمقالات التي لا تقل أهمية عن غيرها إذ أن فيها الشعر المجموع، والدراسة الموضوعية الجادة، والأطر الفنية الجديدة لدراسة الشعر، ومعرفة مقوماته الفنية والنفسية والثقافية.

وفي أغلب هذه المصادر اعتمدنا الطبقات المحققة تحقيقاً علمياً متداولاً بين سدي الباحثين، ولجأنا الى الطبقات الجديدة لهذه التحقيقات - إن وجدت - ما أستطعنا، وما بلغنا الى ذلك سبيلاً.

أما عن الصعوبات التي واجهت البحث فهي إما تتعلق بالباحث، وإما تتعلق بالبحث نفسه.

فبالنسبة لما يتعلق بالبحث فما واجهتنا تلك الصعوبات الكبيرة. فأهم مصاعب البحث هي مصادره ومراجعته. وهذه المصادر والمراجع كانت متوفرة وكثيرة فلم أجد مشكلة واحدة أعاق العثور على مصدر نادر أو مرجع حديث. ولذا فأنا لست صاحب عذر إذا قصر البحث عن أستنتاج مصدر أو ديوان أو مقالة أو رسالة جامعية، اللهم إلا تلك التي لم أستطع الحصول عليها بعد الحرب أو تلك نشرت حديثاً ولما تدخل البلد إلى الآن.

وبالنسبة لمصاعب الباحث ومشاقه، فكمنت في ما تعرض له بلدي العراق من هجمة حاكمة استهدفت أهله وثرواته العلمية قبل ثرواته المادية، وهي مصائب أرقبت الباحث - كأي عراقي - وتركته في هموم ومشاكل شغلته على حساب همومه ومشاغله العلمية.

وأخيراً: فأرجو أن يكون هذا الجهد العلمي قد غطي المكان بأنواعه ودلالاته، وأسهم في فتح باب جديد لدراسات أخرى تتناول الشعر الأندلسي على وفق المفردات الحديثة التي تظهر في دراسة الشعر الحديث. سائلاً المولى القدير - سبحانه وتعالى - أن يجعل هذا الأثر العلمي في ميزان حسنات من سعى لخدمته، بكلمة أو إشارة أو نصيحة أو دعاء. والله أسأل أن يحفظ بلدي العزيز الكبير العراق من كل سوء ومكروه، وأن يحفظ أهله جميعاً من الشمال إلى الجنوب، من الشرق إلى الغرب، وأن يعينهم لخدمة العلم فيه، وبنائه على وفق ما يحب ويرضى لعباده الصالحين المؤمنين، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث: محمد عويد محمد السابر

بغداد المحروسة - ١٤ / ربيع الاول / ١٤٢٥ هـ - ٤ / ٥ / ٢٠٠٤ م



المكان في الشعر الاندلسي

## التمهيد.

أضاءات في أهمية المكان وأنماطه ووسائل تشكيله.

أضاءة أولى: أهمية المكان.

أضاءة ثانية: أنساق المكان وأنماطه.

أضاءة ثالثة: وسائل تشكيل المكان في النص الشعري.

أضاءة أخيرة: التقسيم الأدبي لدراسة المكان (النظرية

الاقليمية في الأدب).

### أضاءة أولى: أهمية المكان.

تتبع أهمية المكان من المقولة التي تذهب بالقول الى أن أفعال الخلق تقع في زمان ومكان<sup>(١)</sup>. ومن هذه المقولة يمكننا أن نستشف بصدق ووعي أن فكرة وجود الكائن الحي في مكان ما فكرة قديمة تؤيدها الآيات القرآنية الكريمة التي تواترت على وجود الإنسان في مكان معين يعد أساس حياته ودوامها وأستقرارها<sup>(٢)</sup>. ومن هنا فالمكان يمثل الحيز الأكبر في حياة الإنسان، ففيه يعيش، ويحتمى، وإليه يعود بعد الموت، فنحن لا يمكن أن نتصور وجودنا بلا مكان، بل؛ وحتى أن هذا الكون الفسيح بنفسه، الكبير بحجمه لا بد له من مكان يحتويه<sup>(٣)</sup>.

والشاعر واحد من الخلق الذي يعيش في مكان، يؤثر في تشكيله وبنائه، ويؤثر هذا المكان في أدق تفاصيل حياة الشاعر، وأهم تشعباتها فلا جرم أن نجد انعكاسات كثيرة ودلالات مختلفة لهذا التمسك والتأثير بين الإنسان الشاعر ومكانه.

لقد أدرك دارسو الأدب وناقروه مالمكان من أهمية بارزة وحضور مشرق على مساحة النص الأدبي فأولوه عناية خاصة ورعاية كبيرة مما يمس أن نعدده تفتيحاً تنظيرياً لمصطلح نقدي، قامت على مفهومه وأنماطه دراسات كثيرة<sup>(٤)</sup>، بعد أن كان

(١) يُنظر: الأزمنة والأمكنة: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسين المرزوقي (ت ٤٢١هـ)، حيدر آباد الدكن، ١٣٣٦هـ، ١/١٣٩.

(٢) يُنظر: سورة البقرة، الآيات (٢٠-٣٨)؛ ويُنظر: الزمان والمكان في قصة العهد القديم: احمد عبد اللطيف حماد، مجلة عالم الفكر، الكويت ١-٣، ١٩٨٥، ص ٦٥.

(٣) يُنظر: الزمان والمكان في شعر العصر العباسي الأول (١٣٢هـ-٢٢٢هـ): غنسي صكبان سلمان، (أطروحة دكتوراه) كلية التربية (ابن رشد) - جامعة بغداد، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٥٦.

(٤) من هذه الدراسات: المكان في الشعر العربي قبل الإسلام: حيدر لازم مطلق (رسالة ماجستير)، المكان في الشعر العراقي الحديث (١٩٦٨-١٩٨٠): سعود احمد يونس (أطروحة دكتوراه)، المكان في الشعر المهجري: حكيم صبري عبد الله (رسالة ماجستير)، المكان في روايات عبد الرحمن مجيد الربيعي: حسن سالم هندي، (رسالة ماجستير)، المكان ودلالاته في شعر السياب: محمد طالب غالب البجاري، (رسالة ماجستير)، دلالة المكان في شعر السياب: لى محمد يونس، (رسالة ماجستير)، المكان في شعر الشريف الرضي - دراسة فنية -: زينب عبد الكريم حمزة، (رسالة ماجستير). ومن البحوث: دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن -

مصطلحا "ميثولوجياً" فلسفياً قديماً<sup>(١)</sup>.

إن الانشغال بفكرة المكان وأثرها الجمالي والفلسفي أنشغلاً قديماً، ربما يعود بادي ذي بدء إلى إشارة أرسطو (٣٨٤-٣٢١ ق.م) في كتابه (فن الشعر) الذي يشير إلى أهمية المنظر بوصفه أحد العناصر الممتدة التي تتكون فيها المأساة، وجاء تملسه بعد القصة والاخلاق والعبارة والفكر فالمنظر، ثم الغناء<sup>(٢)</sup>.

أما على صعيد الدراسات الحديثة- لاسيما الأدبية منها- فقد يعود ظهور هذا الاهتمام المتزايد بالمكان وأنماطه ودلالاته إلى ظهور كتاب جماليات المكان لتولفه جاستون باشلار (فكان للناظرة التي أطل منها درس النقدي العربي الحديث على مفاهيم جديدة للمكان، وكان انطلاقاً الناقد العربي الذي أضفى على تلك المفاهيم رؤى جيدة تتسجم إلى حد كبير مع ما وجده من مادة ثرة في أدبنا العربي كان المكان فيها شاخصاً متميزاً، كما أنها تتسجم في الوقت ذاته مع طبيعة المكان وبنائه الفني في العمل الأدبي)<sup>(٣)</sup>. على أن هذه الدراسة الظاهرية أبتت على الأسس المادية للمكان ووفقت فيما وقفت عليه على تجليات المكان الظاهرة منطلقاً من البيت مصدر المحبة والألفة نحو العالم المحسوس والكون (الفضاء الخارجي)، وتركت أشياء مهمة أهمها الغوص

مضيف: د. محمد علي شوايكة، مجلة ابحاث اليرموك، الأردن، مج ٩، ع ٢، ١٩٩١. جماليات المكان في شعر

عرار: تركي المنيع، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات الأردن، مج ٤، ع ٢، ١٩٨٩.

(١) يُنظر: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا: حسن مجيد العبيدي، دار الشؤون الثقافية-بغداد، ١٩٨٧. المعجم

الفلسفي: د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني-بيروت، ١٩٨٢، ٢/٤١٢-٤١٣.

والميثولوجيا: مجموعة الاساطير، أو مجموعة القصص الخاصة بتفسير الكون وأسرار الحياة والموت عند شعب ما عن طريق تجسيد المعاني، وقوى الطبيعة وأحداث الحياة في قصص تتصل بالآلهة وانحافها وابطالها. يُنظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، كامل المنتمر، مكتبة لبنان-بيروت، ط ٢، ١٩٨٤، ٣٩٨.

(٢) يُنظر: فن الشعر: ترجمة: د. محمد شكري عياد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر-

القاهرة، ١٩٧١، ص ٥٠. ويُنظر عن أثر هذا التقسيم في النص المسرحي: المكان في النص المسرحي

العراقي: منصور نعمان الدليمي (أطروحة دكتوراه)، كلية الفنون الجميلة في جامعة بغداد، ١٣١٨هـ-

١٩٩٨م، ص ١.

(٣) المكان ودلالاته في القرآن الكريم- دراسة موضوعية فنية: علي عبد محيي، (رسالة ماجستير). كلية

التربية في جامعة البصرة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص ١٠.

وصدر كتاب باشلار في بغداد بترجمة غالب هلسا، ١٩٨٠.

عميقاً في دلالات النص الأدبي ومعانيه المجازية التي يرمي هذا النص استنكاد غموضها، وبيان أثرها في المتلقي.

أعقبت تلك الدراسة دراسات أخرى اهتمت بالمكان وتتبعت أنساقه وأنماطه ودلالاته، وكشفت عن وافر من النتائج الموضوعية والفكرية والفنية التي تفيد في تعقب مسالك النص الأدبي وإظهار سماتها وخصائصها، والتي يترك المكان فيها أثراً شرفاً، ويحتل في بنيتها مفصلاً حيويًا، كما ذكرنا آنفاً.

والملاحظ على أغلب هذه الدراسات أنها اهتمت بالرواية، وبالتالي فإنها عالجت المكان من حيث علاقته بعناصر السرد، فكان الحديث يدور عن المكان والشخصية، المكان والحوار، المكان والاحداث، وكان الراوي يتجه نحو توظيف المكان عندما تحتله الشخصية أو تقيم فيه، أو عندما يجري حوار طارئ بين هذه الشخصية والشخصيات الأخرى داخل النص الأدبي.

وأحياناً يكون المكان هو المحور البارز للأحداث التي تكشف عنها الرواية وتدور حولها كالأمكنة الحربية والأمكنة الأليفة كالبيت والمدرسة والجامعة، والاحياء الشعبية كالحي والحارة و(الحته).. وما شابه ذلك. أما في النص الشعري فهو ينزع الى المجاز، ويميل- في جوانب منه- الى الغموض وبذا ربما تنتج مسافات أخرى بين منمنه ومتلقيه ومن هنا فإن الناقد الحصيف هو من يتولى مهمة التقريب بين هذه المسافات لجعلها تجربة معاشة لدى المتلقي يتأثر بها مضمونا وفكراً، فيدور في فلكتها، ويقع في أسر نتائجها.

وعن أهمية المكان، يقول الناقد ياسين النصير- الذي يعد من منظري دراسة المكان الأول:- (فالمكان يعني بدءاً تدوين التاريخ الانساني، والمكان يعني الارتباط الجذري بفعل الكينونة لاداء الطقوس اليومية للعيش، للوجود، لفهم الحقائق الصغيرة، لبناء الروح، للتراكيب المعقدة والخفية، لصياغة المشروع الانساني ضمن الافعال المبهمة، لتنشئة المخينة وهي تدمج كلية الحياة في صورة مكانية<sup>(١)</sup>). وبذا يصبح المكان منطلقاً تاريخياً، وحلاً مسبقاً لحقائق الحياة اليومية التي يعيشها الإنسان من جوانبها المتعددة، فهو( لا يقتصر على كونه أبعاداً هندسية وحجوماً، ولكنه فضلاً عن ذلك نظلم من العلاقات المجردة يُستخرج من الأشياء الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني

(١) أشكالية المكان في النص الادبي: دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٩٥-٢٩٦.

أو الذهني المجرد<sup>(١)</sup>، بل؛ وإن) اظفاء صفات مكانية على الأفكار المجردة يساعد على تجسيدها، وتستخدم التعبيرات المكانية بالتبادل مع المجرد مما يقربه من الأفهام. وينطبق هذا التجسيد المكاني على العديد من المنظومات الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية والزمنية، بل؛ إن هذا التبادل بين الصور الذهنية والمكانية أمتد على التصاق معانٍ أخلاقية بالأحداث المكانية تابعة من حضارة المجتمع وثقافته<sup>(٢)</sup>. ومن هذا المنطلق يحوي التجسيد المكاني دلالات اجتماعية ودينية وسياسية، ملتصقة بذات الشاعر، ومعبرة عن مجتمعه وفكره الحضري والثقافي، ومن هنا تتأتى أهمية المكان في النص الشعري بهذه الدلالات المختلفة.

### أضاءة ثانية: أنساق المكان وأنماطه.

لقد تعددت أنساق المكان وأنماطه عند الدارسين، فلم تكن النظرة واحدة بخصوص نمط معين أو أنماط متعددة يزول اليها النص الأدبي، بل كانت فكرة النص ودلالاته متنوعة بتنوع أغراضه، وتنوع مؤثراته الداخلية والخارجية، فالمبدع إنما يمثل فكراً معيناً تدفعه لصياغة هذا الفكر جنماً أدبياً، عوامل عدة تعود أغلبها إلى أثر بيئته ومجتمعه وظروف العيش فيهما، والمكان كواحد من تلك المؤثرات على حياة الأديب وبالتالي في أدبه ونتاجه، حمل دلالات مختلفة وضم أنماطاً متباينة يحكمها في اختلافها وتباينها، طبيعة النص الأدبي، وعصوره المختلفة ومن ثم نظرة الأديب أو الشاعر إلى المكان ومحاولة فهمه وبالتالي انعكاسه في ذلك النتاج تبعاً لطبيعة هذا الفهم، ولذلك كانت الدراسات النقدية للمكان تحمل بين طياتها تقسيمات وعنوانات عدة لأنساقه وأنماطه.

ومن تقسيمات المكان قسّم الناقد ياسين النصير المكان إلى نوعين رئيسيين:

أ- المكان الموضوعي: ( وتتلخص خصائصه في أنه يبني تكويناته من الحياة الاجتماعية، وتستطيع أن تؤثر عليه بما يتمثله اجتماعياً وواقعياً أحياناً)<sup>(٣)</sup>.

(١) الشعر ومتغيرات المرحلة؛ جماليات المكان: اعتدال عثمان، دار الشؤون الثقافية العامة-بنداد، ١٩٨٦، ص ٥١.

(٢) بناء الرواية -دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ-: د. سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص ٧٥.

(٣) الرواية والمكان: ياسين النصير، بنداد، الموسوعة الصغيرة ١٩٨٠، ٢٧/١.

ب- المكان المفترض: (وهو ابن المخبلة البحث، الذي تتشكل اجزاؤه وفق منظور مفترض وهو قد يستمد بعض خصائصه من الواقع إلا أنه غير محدد، وغير واضح المعالم)<sup>(١)</sup>.

أما الناقد غالب هلسا فقسم المكان على ثلاثة عنوانات هي:

١- المكان المجازي: وأراد به أنه مكان غير مؤكد: إنما هو أقرب الى الافتراض، ويدخل ضمن هذا النمط من المكان المكان التاريخي أنطلاقاً من نعوت مجردة وصفات مفترضة يأتي بها الراوي أو الشاعر كالحديث عن الفخامة والجمال والفقر والبؤس وغيرها.

٢- المكان الهندسي: وهو المكان الذي يعرضه الأديب-الراوي أو الشاعر- من خلال وصف ابعاده الخارجية بدقة بصرية.

ويستطرد الناقد هلسا في الحديث عن هذا المكان وميزاته فيذهب الى ان الاتقان في وصف هذا المكان يحرم القارئ من استخدام خياله ، وبذا فهو يقتل الخيال ويتحول المكان فيه الى درس في الهندسة .

٣- المكان بوصفه تجربة معاشة: وهو مكان عاشه المؤلف، وبعد الابتعاد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال، فأثر في ادبه<sup>(٢)</sup>. وعن هذا المكان يقول باشلار: (المكان الممسوك بواسطة الخيال لن يظل مكاناً محايداً، خاضعاً لقياسات وتقييم مساح الأراضي. لقد عيش فيه، لا بشكل وضعي، بل؛ بكل ماللخيال من تحييز. وهي بشكل خاص، في الغالب مركز اجتذاب دائم. وذلك، لأنه يركز الوجود في حدود تحميه)<sup>(٣)</sup>.

وأما تقسيمات بروب للمكان: فكانت ما يلي:

١- المكان الاصل: ويمثل عادة مسقط رأس المؤلف أو محل أقامته وعائلته.

٢- المكان الوقي أو العرضي: وهو المكان الذي يتبلور فيه الاختبار الترشيحي،

(المؤهل للمكان المركزي).

(١) الرواية والمكان: ٢٧/١. وينظر: المكان ودلالاته في شعر السياب، ص١٦-١١٢، الزمان والمكان في

شعر العصر العباسي الاول، ص١٣٩-١٦٧، ويطلق على المكان المتخيل "اليوتيمي".

(٢) الرواية العربية-واقع وأفاق-: مجموعة باحثين، المكان في الرواية العربية، دار ابن رشد للطباعة

والنشر- بيروت، ط١، ١٩٨١، ص٢١٧-٢٢٤.

(٣) جماليات المكان: ص٢٢٧.

٣- المكان المركزي: وهو المكان الذي يحصل فيه الاختبار الرئيسي أو الانجاز<sup>(١)</sup>.

في حين قسم د. شجاع العاني المكان على أربعة أصناف مفيداً من ثنائياته أو من طريقة عرض المؤلف له، أو من الأتكاء على الموروث التاريخي في تجسيده داخل النص الأدبي:

أ- المكان المسرحي: ويتميز بأنه مكان مجازي أو افتراضي، كذلك يتميز بأنه سلبى، وهو تابع للأحداث والشخصيات وأنه مجرد إطار لهما، لا يتفاعل معهما ولا يؤثر في صياغة الحكمة الروائية.

ب- المكان التاريخي: وهو المكان الذي لا يفصل عن الزمان، مما قد يوحي بأننا نعتقد بأن ثمة مكاناً له علاقة بالزمان وآخر لا علاقة له.

ج- المكان الأليف: ونعني به، كل مكان يثير الاحساس بالألفة، وكل مكان عشنا فيه، وشعرنا فيه بالدفع والحماية بحيث يشكل هذا المكان مادة لذكرياتنا.

د- المكان المعادي: وهو كل مكان يثير الاحساس بالضيق والعداء لدى البشر، ويتمثل في السجون والمعتقلات وغيرها<sup>(٢)</sup>.

ومن تقسيمات المكان الأخرى، تقسيم الباحث سعود احمد يونس، إذ أرتأى تقسيم المكان على ثلاثة أنمطة هي:

١- المكان الواقعي: وتناول فيه؛ الأمكنة الطبيعية، والأمكنة الأصطناعية، والاتجاهات والمسافات.

٢- أماكن العبور: وتناول فيه؛ الشواطئ والسواحل، والمحطات، وحواجز العبور الأصطناعية والطبيعية، ووسائلها.

(١) مدخل الى نظرية القصة-تحليلاً وتطبيقاً-: سمير المرزوقي، جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية- بغداد، ١٩٨٦، ص ٥٨-٥٩.

(٢) البناء الفني في الرواية العربية في العراق- للوصف وبناء للمكان-: دار الشؤون الثقافية- بغداد، ٢٠٠٠، ٣١/٢، ١٥٦.

واطلق د. إبراهيم جنداري على المكان للمسرحي المكان الدرامي، يُنظر: الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٠١، ص ٢٦٠. وهو بمثابة المكان المتخيل في النص الشعري.

٣- المكان التاريخي: وتناول فيه؛ المكان الاسطوري والمكان الديني والمكان الحضري<sup>(١)</sup>.

ومثلما نلاحظ أن هذا التقسيم إنما فرضته طبيعة النصوص الأدبية، والدقّب التاريخية التي درسها الباحث.

وفي دراسة المكان في القصّ القرآني، قسم الباحث جاسم شاهين كاظم المكان الى:  
١- المكان الواقعي: وشمل: المكان الطبيعي، والمكان الاصطناعي، والاتجاهات والمسافات.

٢- العتبة "الفضاء الواصل"؛ وشمل: وسائل العبور، الحواجز، الفضاءات الواصلة.

٣- الثنائيات: وشمل: ثنائية المتناهي في الكبر والمتناهي في الصغر، ثنائية المغلق والمفتوح، ثنائية الأليف والمعادي<sup>(٢)</sup>.

وعلى ما يبدو من التقسيمات أن الباحث وقع في بعض الخلط بين العنوانات، لا سيما بين الفصلين الأول والثاني. إذ أن أماكن العبور أو الحواجز من الممكن أن تضم الى المكان الاصطناعي، كما أن الاتجاهات والمسافات في الفصل الاول موحيات بالمكان وليست أمكنة بحد ذاتها. على أننا لا ننسى أن دراسة الباحث كانت تدور حول القصّ القرآني وهي دراسة تنصب على أهمية المكان من خلال عناصر السرد القصصي الاخرى، وبذا قد لا تشكل مثل هذه المسميات أمكنة واضحة، أو تؤثر في بنية النص القرآني السردى، كتأثيرها في بنية النص الشعري أو النص الروائي.

وهناك بعض الدراسات قد أهتمت بدراسة دلالات المكان على النص الشعري<sup>(٣)</sup>. ومنها دراسة الباحثة لمى محمد يونس القيسي التي أهتمت بدراسة دلالات المكان في مراحل عمرية مختلفة في شعر الصياب<sup>(٤)</sup>. معتمدة على الثنائيات في اغلب تقسيمها:

- 
- (١) المكان في الشعر العراقي الحديث: الاول (ص١٩-٧٧)، الثاني (ص٨٠-١٣٧)، الثالث (ص١٣٨-١٧٨).
  - (٢) المكان في القصص القرآني-دراسة فنية-: (رسالة ماجستير)، كلية الاداب في جامعة القانسية، ٢٠٠١.
  - الاول (ص١٩-٧٠)، الثاني (ص٧٣-١١١)، الثالث (ص١١٢-١٤٣).
  - (٣) يُنظر: المكان في الشعر العربي قبل الاسلام: (ص٦٣-٩٩)، وركز فيها الدلالات الاجتماعية والحضريه للمكان. المكان في الشعر المهجري: الدلالة البسيطة (ص٢٣-٦٣)، الدلالة المركبة (ص٦٤-٧١).
  - (٤) هذه المراحل هي: المرحلة للرومانسية، المرحلة الواقعية، المرحلة المأساوية.

- ١- المكان العالي والمكان المنخفض.
- ٢- المكان الساكن والمكان المتحرك.
- ٣- المكان المغلق والمكان المفتوح.
- ٤- أماكن العتبة والوصول.
- ٥- المكان الأليف والمكان المعادي.
- ٦- أماكن أخرى<sup>(١)</sup>.

طامحة من هذا التقسيم بيان أثر هذه الدلالات في نص السياب الشعري في المراحل العمرية التي عاشها.

وبعض الباحثين أعتمد على الثنائيات في دراسته للمكان، فقسماها:

١. المكان الاليف والمكان المعادي.
  ٢. المكان الواقعي والمكان المتخيل.
  ٣. المكان التاريخي والمكان الآني. وقصد بالآني: المكان الذي تحيا فيه الشخصيات في رانها الذي تتحدث فيه.
  ٤. المكان المسرحي والمكان الكوني. وقصد بالكوني: هو ما يحيط بالشخصية أثناء تجوالها وبحثها عن المكان الآمن<sup>(٢)</sup>.
- ولافت هذه التقسيمات المعتمدة على ثنائيات المكان صدى طيبا عند بعض الباحثين فأثرها في تقسيمه للمكان اثناء دراسته له<sup>(٣)</sup>.

في حين أبعدت دراسات أخرى للمكان عن هذا التقليد بتقسيمات أخرى. كاشفة عن عناصر جديدة لانماط المكان داخل النص الأدبي، وتعدد دلالاتها واختلافها مع البناء العام لهذا النص. ومنها دراسة الباحث علي عبد محيي للنص القرآني الكريم؛ إذ تنوعت

(١) دلالة المكان في شعر السياب: دلالة هذه الاماكن في المرحلة الرومانسية. (ص٤-١٠٥).

دلالة هذه الاماكن في المرحلة الواقعية. (ص١٠٦-٢٢٧).

دلالة هذه الاماكن في المرحلة الأساوية. (ص٢٢٨-٣٤٦).

(٢) الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا: الاول (٢٣٦-٢٤٤)؛ الثاني (ص٢٤٥-٢٥٥)؛ الثالث (ص٢٥٦-٢٥٩)؛ الرابع (ص٢٦٠-٢٦٦).

(٣) ينظر: المكان في روايات عبد الرحمن مجيد الربيعي: ثنائية المكان الاليف والمكان المعادي: (ص٢٣-

٣٤). ثنائية المكان المفتوح والمكان المغلق: (ص٣٥-٥١).

ثنائية المكان التاريخي والمكان الآني (المعترض): (ص٥٢-٥٨).

دلالاته ودوائره بحسب معطيات الآية الكريمة وأثرها في السياق العام للسورة<sup>(١)</sup>. ومنها دراسة الباحثة زينب عبد الكريم لقصيدة الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) إذ تطلب الأمر أن تأتي بتقسيم آخر للمكان فكان بحسب:

١. الأماكن الواسعة: وشمل: السماء والأرض والصحراء والجبال وعالم المياه.
  ٢. المكان الانساني وغيره: وأحتوى أماكن السكن في البادية، والخيام.. وأماكن الحضر كالبيت والدار وغيرها<sup>(٢)</sup>. متقصية رموز المكان وأشارته في قصائد هذا الشاعر الكبير.
- في كل ماتقدم، وأمل أن لانشم منه رائحة استطراد متعبة، لايحيد القول عن مسألتين مهمتين:

الأولى: هي أن كل أنواع المكان وانماطه المارة الذكر انما تتضوي تحت نمطين رئيسيين لاغيرهما؛ هما: المكان الموضوعي (الواقعي)؛ والمكان الخيالي (المفترض). فكل دلالات المكان ورموزه وأشارته نجد لها تفسيراً واقعياً ملموساً؛ والإينات عن الواقع لتدخل ضمن الخيال والافتراض.

والأخرى؛ إن النص (القرآني الكريم، الروائي، الشعري...)؛ هو الحكم الأول والفصل الأخير في مسألة استكناه دلالات المكان أو محاولة فك رموزه المختلفة؛ ونذا كلما قمنا بتحليل نصوص جديدة أو وضعنا اليد على نصوص حديثة (في البنية والتركيب) - كقصيدة النثر -، كلما برزت على النص دلالات وانماط أخرى للمكان.

### إضاءة ثالثة: وسائل تشكيل المكان في النص الشعري.

بما أن المكان في الشعر ينأى عن الوضوح والمباشرة<sup>(٣)</sup>؛ فلا بد لنا من التعرف على الوسائل التي توصلنا الى هذا الوضوح، بحيث يغدو المكان ذا أثر فعال في النص الشعري، ويبرز دلالات معينة من شأنها إثارة المتلقي وشده نحو هذا الأثر.

(١) ينظر: المكان ودلالاته في القرآن الكريم، يلاحظ فيها القارئ تقسيمات متنوعة ومتشعبة تحوي اصناف المكان المتخيل والمغيب، والامكنة للحضرية وغيرها. ولانقصد أن النص القرآني نص ادبي، ولكن فيه سمات هذا النص كالمسورة والصوت... الخ.

(٢) ينظر: المكان في شعر الشريف الرضي: الاول (ص٣-٢٦)، الثاني (ص٢٧-٧٧).

(٣) ينظر: المكان في روايات عبد الرحمن مجيد الربيعي: ص٨.

اجتماعياً- موضوعياً-، فلأدُل على اهتمام العربي والشاعر -خاصة- بالمكان منذ عصر ما قبل الاسلام، فقد (كانت علاقة الانسان العربي قبل الاسلام بأماكنه علاقة وثيقة، إذ قامت حياته على الرعي والتجارة بالدرجة الاساس الى الوجود، وفي ذلك الانتفاع مزية وفضيلة)<sup>(١)</sup>. والشاعر جزء من ذلك المجتمع المتأثر بما يحيط به من ظروف واجواء يترك المكان أثراً مهماً فيها، تأثر بهذا الاثر (المكان)، وظهر هذا التأثير جلياً في الكم الهائل للأمكنة التي وردت في شعر هذا العصر، على اختلاف تلك الامكنة من طبيعية وسياسية واجتماعية، وعلى تباينها في الاستخدام أو الوجود داخل النص الادبي- الشعري- من حيث البنية والتركيب؛ فقد تأتي هذه الامكنة مع المقدمة أو مع الرحلة أو الغرض، أو تختص بالمقطعات الصغيرة لظروف آنية وقتية.

فالمقدمة الطللية<sup>(٢)</sup> ذلك الرمز الخالد، والمفصل الحيوي في بنية القصيدة الجاهلية، إنما هو تجسيد حي للمكان؛ ومن ثم دلالاته النفسية التي عانى منها الشاعر من مجر وبعد من قبل الحبيبة أو القبيلة. وقد أدى التحول المكاني للشاعر إلى جعل الطلل شاهداً شاخصاً، وموقفاً حاضراً للمكان في القصائد الكثر التي ورد فيها ذكر الطلل واستنكار الديار والبكاء عليها، على أن هذا البكاء (ليس عاطفة خاصة، ولاتجربة وجدانية ذاتية، بل؛ لحظة حزينة املاها على الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي إليها بالحرمان من الوطن المكاني، والحنين إلى الاستقرار والمقام الثابت الذي يستطيع فيه أن يقيم بيتاً، يُخلد فيه ذكرياته ويسترجع ملاعب صباه)<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال الرحلة-الظعائن وغيرها- وقف الشاعر الجاهلي على المكان بوصفه مفردة أساسية سار عليها في إبراز قصته ورحلته للممدوح أو للحبيبة أو للقبيلة. فالطريق حافل بالمخاطر والأعباء، ولذا يضيف الشاعر على ناقته -كوسيلته للرحلة

(١) المكان ودلالاته في القرآن الكريم: ص ١٨.

(٢) للمزيد عن لوحة الطلل في مقدمة القصيدة؛ ينظر: شعر الوقوف على الاطلال من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث الهجري- دراسة تحليلية-: د. عزة حمن، دمشق، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ص ٥٠. والطبيعة في الشعر الجاهلي: د. نوري حمودي القيسي، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط ١، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ص ٢٥٠-٢٦٩، وشعر أوس ورواته الجاهليين -دراسة تحليلية-: د. محمود عبد الله الجادر، دار الرسالة للطباعة والنشر- بغداد، ١٩٧٩، في صفحات كثيرة، مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي: د. حسين عطوان، دار الجيل- بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧؛ ص ٧٥-٩٢.

(٣) الطبيعة في الشعر الجاهلي: ص ٢٥٣.

عادةً- صفات القوة والمنعة والفخامة لتخطي تلك الصعاب والمخاطر بسلام، وبذا تكون رحلة الشاعر تجسيداً لقصة الحياة الانسانية ومصاعبها الكثيرة خلال العصر الذي عاش فيه، ويكون المكان في هذه الرحلة كياناً فاعلاً يمكننا أن نتلمس حضوره واستمراريته بما يمتلكه من قوة وتأثير في عناصر البناء الفني للنص الشعري<sup>(١)</sup>.

إن مايقال عن هذا العصر- الجاهلي- يمكن أن يقال عن العصور اللاحقة التي مرّ فيها الادب كالعصر الاسلامي والاموي والعصر العباسي... إذ ظلّ هذا التقليد للقصيدة الجاهلية لاسيما هذه اللوحات؛ من طلل ورحلة وغرض، شائعاً ومتبعاً في تلك العصور، بل؛ وعُدّت القصيدة الجاهلية في بنيتها ولوحاتها الانموذج الذي يُحتذى من قبل النقاد القدامى<sup>(٢)</sup>؛ وبذا ظل المكان -بهذه اللوحات- يفرض طبيعته وأهميته في بنية النص، وأغراضه.

إن ماقدمناه عن لوحة الطلل ومظاهرها، ورحلة الطعائن وأثرها في تشكيل المكان عند الشاعر الجاهلي قد نجد لها صدىً في بعض مناحي الشعر الأندلسي<sup>(٣)</sup>. ولكن هذه المناحي أوضحت دلالات جديدة صبها الشاعر الأندلسي في بوتقة ابداعه الذي يتميز بدلالات ورموز جديدة وفقاً للبيئة التي عاشها هذا الشاعر وماأنبقت عنها من أحداث طوّرت مفهوم هذا الابداع أنسجماً ونفسية منشئ النص وثقافته.

ومن وسائل تشكيل المكان في الشعر لاسيما الشعر الأندلسي -الذي سنخصص الحديث عنه-، المحور الموضوعي البارز فيه، وأقصد به الغربة عن الوطن، والحنين إليه، إذ يعبر الشاعر من خلاله عن عمق حسي المكاني بعد معاناة الإقتلاع والغربة، إذ يحاول أن يعيش وطناً داخلياً يتمدد في كيانه عن طريق الخيال يعوض فيه عن غياب فكرة الوطن في الواقع<sup>(٤)</sup>، والنص الأندلسي يكفينا مؤونة البحث في خصائص غرض الغربة والحنين، واستكناه معاناة الشاعر الحقيقية التي برزت إثر هذه الغربة أو التي

(١) ينظر: المكان في الشعر العربي قبل الاسلام: ص ٣١٣.

(٢) يقول ابن قتيبة : (وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الاقسام. فيقف على منزل عامر أو بيكي عند مشيد للبنيان، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر، أو الرسم العاقي، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما؛ لأن للمتقدمين رحلوا على الناقة والبعير...). الشعر والشعراء: ١/ ٢٢.

(٣) ينظر: مقنمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي- دراسة موضوعية فنية: د. هدى شوكة بسنهام، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ط ٢٠٠١م، ص ١٢-٢١.

(٤) ينظر: جماليات المكان: (اعتدال عثمان) ص ٥٢.

تولدت عن هجرة طارئة فرضتها ظروف الفتن والحروب التي عانى منها ذلك الصقع البهي، وتلك الطبيعة الهائلة، التي تحولت -في حقب من عمرها- إلى أرض دماء، ووحشة... وغربة.

ومادمت في طور إخضاع المكان لعوامل الفتن والحروب، وبروز اتجاه الغربنة والحنين على أثرها، لا بد لي من التعرّيج على غرض آخر تجسّد فيه المكان بصورة موضوعية، على أثر هذه الحروب والفتن إلا وهو الشعر السياسي ومنه الحربي؛ الذي ظهر هناك بسبب كثرة الفتن وشيوع الحروب، سواء أكانت تلك الحروب بين المسلمين والنصارى أم بين المسلمين أنفسهم، فقد كانت هذه الحروب موضوع دراسات كثيرة تناولت خصائصها وسماتها الفكرية والموضوعية<sup>(١)</sup>؛ ومن هنا كان الشعر الحربي وسيلة أخرى من وسائل تشكيل المكان -موضوعياً- في القصيدة الأندلسية.

وتبرز الطبيعة اللامتناهية في الوصف كجزء من ذات الشاعر الأندلسي. فقد طارحها شجوه وبكاها في غربته، وتمثلها في مديحه وراثته، فكانت صنوه الدائم في حلّه وترحاله، في أمنه وخوفه، فاستحققت خلوداً للمكان الذي عاش فيه الشاعر تمثله في وجدانه وفنه أصدق تمثيل، ولذا نهضت بمقومات كثيرة وسمات تركيبية جليّة جعلتها لبنة أساسية، ووسيلة مهمة من وسائل تشكيل المكان في الشعر الأندلسي، بأغراضه كافة، ودلالاته الجمة<sup>(٢)</sup>.

لأنني بهذا إن هذه هي العناصر الوحيدة التي أسهمت في تشكيل المكان في الشعر، وفي الشعر الأندلسي على وجه الخصوص، فهناك عناصر أخرى تماثلها التشكيل؛ ولكنها تقصر عنها في الأهمية وفي الكثرة المعتمدة على استقرار النصوص التي بين أيدينا مستقراً وصفيّاً؛ ومن تلك العناصر أو الوسائل؛ الأمكنة الدينية ودلالاتها سيما على صعيد التاريخ أو الألب الأندلسي الذي شكّل عداءً جوهرياً بين الإسلام والنصرانية. وكذلك الأمكنة الاجتماعية، التي تنطلق من البيت أساس المحبة والحنان

(١) من هذه الدراسات: الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي (من سقوط الخلافة ق٥هـ، إلى سقوط غرناطة ق٩هـ)؛ د. جمعة شبيخة، المطبعة المغاربية للترجمة والنشر والإشهار، تونس-١٩٩٤ (١-٢٣ج). وأدب الحرب في عهد ملوك الطوائف: محمد حسين محمد أبو رقيق، (رسالة ماجستير). وشعر الاعتبار والتمناظ بالأحداث السياسية في الأندلس: قاسم خريبط طاهر، (رسالة ماجستير)، والحرب والسياسة وأثرهما في الشعر الأندلسي-عصر سيادة قرطبة (١٣٨-٢٢هـ)؛ زينب كاظم المحنّة (رسالة ماجستير).

(٢) سنتناول أثر المكان الطبيعي ضمن المكان البيئي؛ في الفصل الأول من هذه الدراسة.

كما يقول باشلار<sup>(١)</sup>. ومن ثم الأمكنة الحضرية، ناهيك عن حضارة الأندلس قوياً، وعن كثرة مفرداتها في الشعر الأندلسي وروداً، ما يجعلها مع ما سبقها من عناصر ووسائل مؤثرة في تشكيل المكان وأماطه لدى الشاعر الأندلسي خلال حكم الاسلام للأندلس على فترات الطوال.

أما على المستوى الفني، لوسائل تشكيل المكان في الشعر؛ فالمكان يتشكل من خلال اللغة، واللغة الشعرية تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة، فلها بعد مادي فيزيائي يربط بين الالفاظ وأصولها الحسية، كما أن لها نظاماً من العلاقات التي تعتمد على التجريد الذهني<sup>(٢)</sup>؛ فالنص الشعري تجسيد لغوي لكائن، وأنفتاح خارج اللغة على كينونة في الغياب هو البعد الخفي أو البنية العميقة للنص<sup>(٣)</sup>. ومن هنا تتحدد علاقة المكان باللغة (في تلك البنية التوليدية التي يولدها المكان لغوياً، فكل مكان مفردات لغوية خاصة تدل عليه ولا تقال إلا بحضرته. والمدقق في مثل هذه المفردات يجد لها الهوية المعرفية للمكان، بل، ويتجاوز ذلك أحياناً إلى ما يشبه العناصر المكونة له. خاصة إذا أقرن المكان بالصوت...، فكل مكان له مفردات دالة عليه، لغاه، ولون أسلوبه، وحقيقته المعرفية، وإمكاناته الرمزية. وعندما نقول في المكان الكلمة الدالة فيه أو عليه فإننا نزيح المكان من تصوّره الصوري السابق، إلى تصور جدلي معرفي، فيدخل في بنية أخرى، كأن تكون رواية أو قصيدة أو لوحة فنية... الخ)<sup>(٤)</sup>.

ويتشكل المكان في الشعر فنياً أيضاً: عن طريق الصورة الشعرية. فهي (أخطر أدوات الشعر بلا منازع)<sup>(٥)</sup>. ومن هنا تأتي أهميتها في مسميات النص جميعاً كاللغة والتركيب والصوت والمكان. وما يهمنا فيها هنا هو تجسيدها للأخير، فالصورة الشعرية (تلجأ إلى تحطيم الزمن(ماضٍ، وحاضر، ومستقبل)، إلى جانب تحطيم

(١) يُنظر: جماليات المكان: ص ٤٤-٤٥.

(٢) يُنظر: جماليات المكان: (أعتدال)، ص ٥١.

(٣) يُنظر: في الشعرية: د. كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٩٨٧، ص ١٩.

(٤) الحد استقصاءات في البنية المكانية للنص؛ ياسين النصير، مجلة الاكلام، ع ١٢ و ١١، ١٩٨٩، ص ١٨٧.

ويُنظر: التفسير النفسي للأدب: د. عز الدين اسماعيل، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٣، ص ٥٥.

الشعر بين الرويا والتشكيل: د. عبد العزيز المقالح، دار العودة- بيروت، ١٩٨١، ص ١٠٤.

(٥) تطور الشعر العربي الحديث في العراق- اتجاهات الرويا وجماليات النص: د. علي عباس علوان،

منشورات وزارة الاعلام- العراق، سلسلة الكتب الحديثة(٩١)، ١٩٧٥، ص ٤١.

(المكان)، بل تحول كليهما الى الآخر<sup>(١)</sup>، ومن ثم تبرز قدرة الصورة الشعرية بتحويل الزمان الى صورة مكانية محسوسة بالرؤية البصرية<sup>(٢)</sup>، إن عملية التفتيت والانحلال هذه في مفردات النص الأدبي هو ما يهمننا في عملية تشكيل المكان في النص الشعري، فالنسق في النص الشعري يتشكل ثم يكتمل ثم ينحل بعد ذلك، والمكان يتبع النسق في التشكل ثم الانحلال، واكتمال النسق وانحلاله شرطان أساسيان لفاعليته<sup>(٣)</sup>.

وكذلك يتشكل المكان في النص الشعري فنياً عن طريق الخيال الذي هو أحد العناصر الأربعة التي أعتمدها نظرية الشعر عند العرب<sup>(٤)</sup>، (ولعل أهم خاصية للمكان في الشعر هو أنه بعد متخيل خفي على التحليل والامساك به)<sup>(٥)</sup>؛ وبذا برز المكان المتخيل أو المفترض أو اليوتوبيي كنمط أساس في أنواع المكان وأصنافه التي وقفت عليها الدراسات النقدية، محاولة كشف آثار المكان عن طريق التخيل، أو ما تعمله سخيلة الشاعر في استلهام الواقع بأشكاله وصهره في بوتقة الإبداع الأدبي ومن ثم تحويل الامكنة الطبيعية والاعتيادية إلى أمكنة فنية عن طريق الاستخدام الأمثل لألفاظ اللغة، وذلك بأنزياح مفرداتها وإكسانها ملامح شعرية، وإلغاء المسافات بين الأشياء المكانية أو توحيدها، أي إلغاء الحدود الهندسية للمكان، فيتولد حينذاك مكان خاص بالنص الأدبي، هو المكان المتخيل الذي أنتجه الخيال الشعري، ذلك هو المكان الشعري<sup>(٦)</sup>.

ويتشكل المكان في النص الشعري عن طريق السرد القصصي أو قل البنية القصصية لهذا النص، فثمة علاقة قوية وحميمة بين المكان وعناصر السرد القصصي

(١) جماليات المكان: مجموعة باحثين؛ دار قرطبة- البيضاء، ط٢، ١٩٨٨. البحث الموسوم بـ "جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور: منحت عبد الجبار، ص: ٣٤.

(٢) م.ن.، ص: ٣٧.

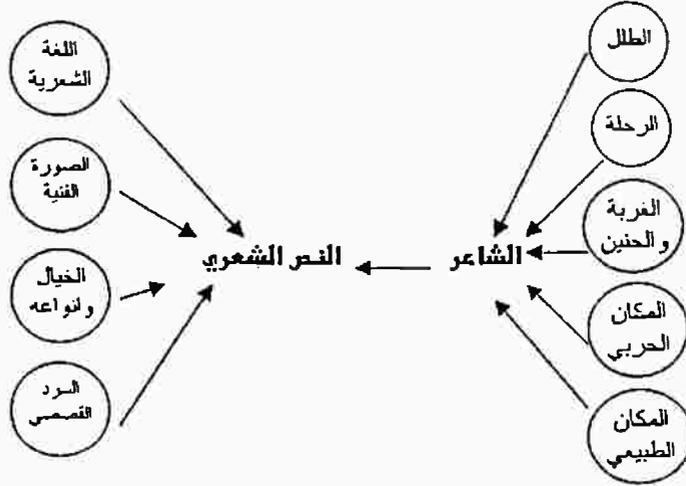
(٣) يُنظر: جنلية الخفاء والتجلي: د. كمال أبو ديب، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٧٩، ص ١٠٩-١١٠.

(٤) يُنظر: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين: ألّف كمال الدروبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٨٤، ص ١١٣.

(٥) المكان في الشعر العراقي الحديث: ص ١٨.

(٦) الزمان والمكان في شعر العصر العباسي الأول: ص ٧١.

ولعل أول هذه العلاقات وأكثرها أهمية هي علاقته مع الزمان - ردفه وصنوه<sup>(١)</sup>؛ إذ كل زمان يتحدد في مكان ما كذلك أن أي مكان لا يمكن أن يكون واقعاً لأفعالنا ونشاطاتنا إلا في لحظة زمنية معينة<sup>(٢)</sup>، ولا تقتصر علاقة المكان مع الزمن في البنية القصصية للنص الشعري إذ يرتبط أيضاً مع عناصرها الأخرى (الحدث والشخصيات والصراع) فالمكان غالباً ما يحدد فيها مسار الشخص و يركز فيها وقوع الأحداث ضمن زمن داخلي ونفسي يخضع لواقع التجربة في العمل الفني<sup>(٣)</sup>.



مخطط بوضّح وسائل تشكيل المكان (الموضوعية والفنية) في النص الشعري

- (١) عن هذه العلاقة دراسات كثيرة، فلسفية، تاريخية، أدبية. يُنظر: المعجم الفلسفي: ٤١٣/٢؛ وحدة الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبّي: حيدر لازم مطلق ( أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب في جامعة بغداد. ١٩٩٢، ص٦٥؛ للزمان والمكان في شعر العصر العباسي الأول: ص١٦٨-٢٠٩.
- (٢) يُنظر: دلالة المكان في مدن الملح: ص٩، البناء الفني في الرواية العربية في العراق: ١٧/٢.
- (٣) المكان في الشعر العربي قبل الإسلام: ص١٧.

## أضاءة أخيرة: التقسيم الأدبي للمكان (النظرية الاقليمية في دراسة الأدب) وأثرها في الدراسات الأندلسية.

نشأ هذا العنوان في هذا التمهيد من رغبة ملحة فرضتها طبيعة البحث الذي يشكل جزءاً مهماً من النظرية الإقليمية في دراسة الأدب العربي، وأهمية هذا العنوان تعود لسببين رئيسين:

الأول منهما: كون معظم الدراسات التي تناولت المكان وأماطه بالدراسة والتحليل، في التنظير والتطبيق لم تتناول هذه النظرية فيما تناولته من مفردات دخلت في صميم بحثها ودراستها.

والآخر؛ يفرضه الأدب الأندلسي نفسه، فهو مرحلة تاريخية طويلة امتدت ثمانية قرون، أنتجت أشعاعاً حضارياً منيراً في المجالات كافة، وبذا أستحق هذا الاقليم أن نفرده بدراسات ودراسات كلها تصب في معاملة الأندلس أقلية جغرافياً له أثره في الإنتاج الفكري والسياسي والأدبي العربي، وهذا ما تسعى إليه هذه النظرية بحد ذاته. والنظرية الإقليمية إنما تعنى بدراسة الأدب العربي كلاً بحسب بينته وأقليته<sup>(١)</sup>، فهناك أدب في الكوفة وآخر في البصرة وثالث في الشام ورابع في الأندلس... وهكذا؛ بدراسة أثر الاقليم على الأدب المنتج فيه من خلال مؤثراته العامة كافة.

لقد ظهرت دراسات عدة تقوم على أسس هذه النظرية وأركانها في الشعر المشرقي مثل:

(١) يُنظر: مناهج الدراسة الأدبية في الآداب العربية:- عرض، وتقديم- شكري فيحصل. دار العلم للملايين- بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٣م، ص١٥٩-١٩٢، وهي دراسة مفصلة لهذه النظرية؛ جرانسيا التاريخية والأدبية عند القدامى والمحدثين.

ولم يغفل النقد العربي القديم أثر المكان والبيئة على شعر الشاعر ونتاجه، وممن فعل ذلك ابن سلام (ت٢٣٢هـ) في كتابه (طبقات فحول الشعراء) إذ لاحظ أنه قسم الشعراء بحسب أقاليمهم، كشعراء القرى العربية، وشعراء المدينة، ومكة، والطائف، والبحرين، ويهود المدينة. يُنظر: مناهج الدراسة الأدبية. ص١٦٣-١٦٤، التقسيم الإقليمي في كتب التراجم- نشأة وتطور وتاريخ- د. احمد النجدي. مجلة المورد، مج٣٠، ع٤، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص٢١. ومثله فعل الثعالبي (٤٢٩) في البيئمة قسمهم بحسب أقاليمهم فكان على أربعة أقسام: قسم لشعراء الشام، وقسم لشعراء العراق، وقسم لشعراء فارس وجرجان وطبرستان. وقسم لشعراء خراسان وما وراء النهر.

يُنظر: مناهج الدراسة الأدبية: ص١٦٥، التقسيم الإقليمي في كتب التراجم: ص٢٢-٢٣.

- أ- دراسة د. يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجري، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨.
- ب- دراسة د. احمد كمال زكي؛ الحياة الادبية في البصرة؛ طبع، دار الفكر- دمشق، ط١، ١٩٦١م.
- وأعيد طبعه، دار المعارف- مصر، ط٢، ١٩٧٤م.
- ج- دراسة د. عبد الستار الجوارى؛ الشعر العربي في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري؛ مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٦.
- د- دراسة د. هند حسين طه؛ الأدب العربي في أقليم خوارزم؛ طبع: منشورات وزارة الاعلام، العراق، ١٩٧٦.

أن نظرة سريعة وفاحصة الى الدراسات التي تناولت الادب الاندلسي- شعراً ونثراً وتوشيحاً- تبين لنا مدى أهمية الوقوف على النظرية الاقليمية وأن نخصتها بمعالجاتنا وطروحتنا النقدية التي تركز على أثر الاقليم- البيئة- في هذا الادب، إذ لم تحط هذه النظرية بكبير دراسة او بعظيم اهتمام مثلما حظيت بها النظريات الاخرى كالنظرية المدرسية- القائمة على التقسيم السياسي لعصور الأدب<sup>(١)</sup>، أو النظرية الفنية التي تهتم بكبار الشعراء وعظماهم<sup>(٢)</sup>.

وعن الدراسات التي أحتضنت الأدب الاندلسي: وثبتت مفاهيم النظرية الاقليمية وخصائصها يمكن أدرجها تحت المرتكزات الآتية:

- ١- التي تناولت أثر الاندلس من حيث مظاهرها الطبيعية. فقد سحرت تلك الطبيعة الغناء العقول، ودارت حولها الاقلام فأنتجت أثراً بديعاً خالداً، كشف الستر عن مزاياها وظواهرها باحثون فضلاء. ومن هذه الدراسات:
- أ- الطبيعة في الشعر الاندلسي؛ د. جودة الركابي، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٥٩.
- وهي دراسة موجزة ذات خصائص عامة لشعر الطبيعة في الاندلس.

(١) وفق هذه النظرية يمكننا تقسيم الادب الاندلسي في خمسة عصور: ١- عصر لفتح والولاية (٩٢-١٢٨)، ٢- العصر الاموي (١٢٨-٢٩٩)، ٣- عصر الطوائف والمرابطين (٤٠٠-٥٤١)، ٤- عصر الموحدين (٥٤٠-٦٢٠)، ٥- عصر دولة بني الاحمر (٦٣٥-٨٩٧هـ). يُنظر: الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة: د. منجد مصطفى بهجت، دار الكتب، الموصل، ١٩٨٨، ص ١٨-١٩.

(٢) من هؤلاء الشعراء في الاندلس: ابن زيدون (ت ٤٦٣)، ابن حمد يس (ت ٥٢٧)، ابن خفاجة (ت ٥٣٣) وعن هذه النظرية يُنظر: مناهج الدراسة الابنية ص ١٣١-١٥٥.

- ب- الوصف في الشعر الاندلسي- عصر الطوائف-: رياض كريم جوهر، (رسالة ماجستير) من كلية الاداب في جامعة بغداد، ١٩٨٨.
- ج- الطبيعة في الشعر الاندلسي- عصر الموحدين-: محمد سعيد ناجي، (رسالة ماجستير) من كلية الاداب في الجامعة المستنصرية، ١٩٩٥.
- والملاحظ على هذه الدراسات- باستثناء الاولى- أنها أهتمت ببعض معين، فدار حوله الموضوع وحول شعرائه. وربما تداخل مع أثر الطبيعة أثر البيئات الاخرى السياسية والاجتماعية والثقافية- بصورة عامة- في بعض الدراسات؛ ومنها:
- ١- دراسة د. سعد اسماعيل شلبي الموسومة بـ: "البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف"، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٨. وهي دراسة جليلة تتسم عن جهد كبير، وتميز علمي واضح.
- ٢- دراسة د. عبد الرزاق حمين الموسومة بـ "الادب العربي في جزر البليار"<sup>(١)</sup>: دار الجيل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية، عمان، ط١، ١٩٩٤، وهي لا تقل عن سابقتها جهداً وتميزاً.
٢. التي تناولت أثر المدن في الشعر الاندلسي، ونشوء الشعراء في مدة ما فسي مدينة معينة أستحقوا الدراسة، الاهتمام منها:
- أ- دراسة د. محمد مجيد السعيد "الشعر في ظل بني عباد"؛ مطبعة النجف الأشرف، ط١، ١٩٧٢. وفيها ركز الباحث على سمات المجتمع الأثبيلي وعناصرها ودياناته وطبقاته ومن ثم أثرها على الشعر.
- ب- دراسة الباحث حسين أسعد نصر- الدكتور حالياً- "الشعر في غرناطة في ظل بني الاحمر"، (رسالة ماجستير)- كلية الاداب في جامعة بغداد، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- ج- دراسة الباحث عبد الرحمن حميد ثامر "الشعر الاندلسي في ظل بني هود"، رسالة ماجستير في كلية للتربية في جامعة الانبار، ١٩٩٥.
- د- دراسة الباحث اسماعيل عباس جامم "الشعر في بلنسية في عصر الطوائف والمرابطين"، رسالة ماجستير - كلية الاداب في جامعة بغداد، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- ٣- التي تناولت أثر طارئاً أنتج شعراً له سمات موضوعية وفكرية معينة، أصبحت غرضاً مشاعراً ومادة خصبة لدراسات أكاديمية، منها:

(١) هي الجزر الثلاث (ميورقة، منرقة، يابسة)، وتسمى بالجزائر الشرقية أيضاً.

١- أثر الحروب والفتن؛ وقد قدمنا القول فيها وفي دراساتها<sup>(١)</sup>.  
٢- الغربة والحنين إذ شكل ملمحاً مهماً، وترك أثراً بيناً خصته الدكتور احمد حاجم برسائله للماجستير تحت عنوان الغربة والحنين في الشعر الاندلسي مجازة من كلية الاداب في جامعة بغداد، ١٩٨٣.  
أن كل ما تقدم من دراسات متميزة في مضمار اختصاصها، متبعة سمات المنهج العلمي الأصيل، خرجت عن أيدي باحثين كرسوا حياتهم، ونبجوا أقلامهم خدمة للعلم، واخلاصاً في نشره، جديرة بالثناء والاعجاب، مستحقة الخلود الذي كُتب للعلم مدى الحياة.  
وما يلاحظه القارئ للنبه والناقد المختص، أن ما تقدم من عنوانات شكّلت أبحاثاً لمؤلفيها وكاتبها، أنها آخضت بعدة معينة من تاريخ الأدب الاندلسي وهو عصر الطوائف على الاكثر، إذ هو عصر الأزدهار والنضج<sup>(٢)</sup> إذا ما قيس بعصور الاندلس الأخرى؛ كما أنه العصر الذي شهد ظهور كبار الشعراء والادباء كابن شهيد (ت ٤٢٦) وابن زيدون (ت ٤٦٣) وابن عمار (٤٧٧) والمعتمد (٤٨٨) وغيرهم، وهو عصر للرخاء المادي والترف الحضوي، ولذا وأد- نتيجة هذه العوامل وغيرها- لبدأ انكب على دراسته باحثون كثيرون، من وجوه مختلفة.

ومتلما نلاحظ تميّز هذا العصر، نلاحظ تميّزاً لبعض المدن اللواتي احتضنت هؤلاء الشعراء وغيرهم، كبلنسية مدينة ابن الزقاق (ت ٥٣٠)، وابن خفاجة، وأشبيلية مدينة المعتمد وفيها أقام ابن عمار، ومدينة سرقسطة عاصمة بني هود ومركز جذبهم للشعراء والادباء من حولهم، أو التي تناولت جزءاً من المدينة لحركتها الشعرية المتميزة<sup>(٣)</sup>.  
إن دراستنا هذه -إن شاء الله- مكملة لجهود هؤلاء الباحثين وغيرهم؛ فهي تمتد إلى عصر ما بعد الطوائف بالتطليل والشرح، وهي لم تختص بغرض معين، ولم تُحدد بمدينة ما، بل؛ شملت الاغراض كافة في المدن جميعاً بمراعاة أثر البيئة فيها ومآثرات به عن البيئة المشرقية، وما ولدت من شعر بناءً على هذا التميز، وبذا هي تقف على فحوى النظرية الاقليمية في أسسها ونتاجها.

(١) يُنظر هامش رقم (١) من الصفحة (٢١) من هذا التمهيد.

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي: د. شوقي ضيف، دار المعارف - مصر - ط٤، ١٩٦٠، ص ٤٣١.

(٣) يُنظر: جزيرة شقر (الانسان والمكان): د. صلاح جرار، مجلة مجمع اللغة الارني، ع ٣٤، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨، ص ١٥١-١٩٦.